شـــرح

كشف الشبهات

تصنيف الإمام

محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي

ت ١٢٠٦ رحمه الله رحمة واسعة

شرح فضيلة الشيخ

محمد ابن عبد الله المالكي

قَالَ المُصنِف رَحِمَهُ اللهُ:

جوابٌ مُفصلٌ عن الشُّبه:

الشبهة الأولى: أن مَن أقر بتوحيد الربوبية، ولم يقصد من الصالحين إلا الجاه والشفاعة، فليس بمشركٍ.

وَأَمَّا الجَوَابُ المُفَصَّلُ: فَإِنَّ أَعْدَاءَ اللهِ لَهُمُ اعْتِرَاضَاتٌ كَثِيرَةٌ عَلَى دِينِ الرُّسُلِ يَصُدُّونَ بِهَا النَّاسَ عَنْهُ. مِنْهَا قَولُهُمْ: نَحْنُ لَا نُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا؛ بَلْ نَشْهَدُ أَنَّهُ لَا يَخْلُقُ وَلَا يَرْزُقُ وَلَا يُحْيِي وَلَا يُمِيتُ وَلَا يُدَبِّرُ الأَمْرَ وَلَا يَنْفَعُ ولَا يَضُرُّ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا، فَضْلًا عَنْ عَبْدِ القَادِرِ أَوْ غَيْرِهِ، ولكن أَنَا مُذْنِبٌ، وَالصَّالِحُونَ لَهُم جَاهٌ عِنْدَ اللهِ، وَأَطْلُبُ مِنَ اللهِ بِهِمْ.

فَجَاوِبْهُ بِما تَقَدَّمَ؛ وَهُوَ: أَنَّ الَّذِينَ قَاتَلَهُم رَسُولُ اللهِ ﷺ مُقِرُّونَ بِمَا ذَكَرْتَ لِي - أَيُّها المُبْطِلُ -، وَمُقِرُّونَ أَنَّ أَوْثَانَهُم لَا تُدَبِّرُ شَيْئًا، وَإِنَّمَا أَرَادُوا الجَاهَ وَالشَّفَاعَةَ، واقْرَأْ عَلَيْهِ مَا ذَكَرَ اللهُ فِي كِتَابِهِ وَوَضَّحَهُ.

قال الشارح وفقه الله:

يقول شَيْخ الإسْلَام رَحِمَهُ اللهُ: بعد أن استفاض في الكلام على المُجمل، ذكرَ الجواب المُفصل على الشبه التي يُقدمها أهل الأهواء.

قال: (فَإِنَّ أَعْدَاءَ اللهِ لَهُمُ اعْتِرَاضَاتٌ كَثِيرَةٌ عَلَى دِينِ الرُّسُلِ)، ولو لم يعترض بلسانه ويقول: كلام الرسول خطأ، لكنْ فعلُهُ يعني ذلك كما قال بعض الشافعي: «مَنْ أحدثَ في الإسلام بدعةً يراها حسنة، فقد زعمَ أن محمدًا خانَ الرسالة». مع أنه ما قال خان الرسالة، ولكن هذا مفهوم صنيعه، كأنه يقول: إن النبي ﷺ لم يُبلغ الرسالة كاملة، وأيضًا فيه أن الله لا يعلم بأن الله قال: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾، هؤلاء أعداء الله لهم اعتراضات كثيرة على دين الرسل كل البدع التي جاءوا بها هي اعتراض على دين الرسل، سواءً البدع الشركية أو البدع غير الشركية التي هي دون الشرك، فهي بدع، فالبدعة كلها اعتراضٌ على دين الرسول، أو دين الرُّسل، لذلك قال: (يَصُدُّونَ بِهَا النَّاسَ عَنْهُ)، لأنه إذا أحدث الإنسان بدعة

كما جاء في الأثر: «ما أحدث الناس بدعةً إلا رفع الله مكانها سنة» ثم لا ترجع إليهم إلى قيام الساعة، فهُم يصدون بها الناس عن دين الله، يصدون بهذه البدع الناس عن دين الله.

قال: (نَحْنُ لَا نُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا)، إذًا ماذا تصنعون؟ إذا قلنا لهم: إذًا هذا الذي تصنعونه ما هو؟ يقولون: نحنُ نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا ﷺ لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا، فضلًا عن عبد القادر الجيلاني، عبد القادر هو الجيلاني عبد القادر الجيلاني أو غيرهم.

إذًا إذا كان هذا حالكم، فما الفرق بينكم وبين كفار قريش الذين قاتلهم الرسول ﷺ لأمرٍ من الله؟ هم أقروا بالربوبية، أنتم أيها المشركون المنتسبون إلى الإسلام زورًا أنتم عملتم أمرًا أسوأ مما كانت عليه قريش، لأن قريش فرقت بين الربوبية والألوهية، وأنتم جعلتم تفسير الألوهية بأعمال الربوبية، وهذا خطأ، لأن الربوبية هي أعمال الرَّب، والربوبية هي أعمال العبد.

الربوبية هي أعمال الرَّب من خلق ورزق وإحياء إماتة تدبير.

الألوهية: أعمال العبد من صلاة، ودعاء، وزكاة، كل الأعمال الصالحة، فالله عز وجل لم يُشرك أحدًا في عملِهِ، ولا يرضى أن تُشرك أنت أحدًا في عملك، لأن عملك الواجب أن يكون لله وحده، كما قال الله عز وجل في آخر سورة الإسراء: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ﴾ [الإسراء:١١١]، معنى لا شريك في المُلك ساهمَ وبذل فصار شريكًا، ولا ولي من الذل، يعني مُعين له من الضعف عند الخلق، بل هو المالك وهو الخالق وحده سبحانه.

قريش فهمت هذا، فهمت هذا وأن هذه هي الربوبية، وفهموا الألوهية، فهموا معنى الألوهية وهي ليس معنى الألوهية عندهم لا خالق لا رازق لا لا، قريش فهمت أن هذه هي الربوبية، وفهموا أن الألوهية ألا يصرفوا هم شيئًا من عباداتهم إلا لله، ولذلك رفضوا بقولهم: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ [ص:٥]، إلى غير ذلك.

فهُم هؤلاء الذين ينتسبون الإسلام في هذه الأزمنة، يقول لك: أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا

رسول الله وأُذن وأُصلي، كيف تقول: أني على شيء مثل قريش أو أسوأ من قريش، هم أسوأ مما كانت عليه قريش، لأن قريش فرَّقت بين الربوبية والألوهية، وجعلتْ الربوبية محض حق الله.

أما هؤلاء فأشركوا مع الله آلهتهم فيها، فصاروا يعتقدون -كما يقول بعضهم- أن الولي يستطيع أن يخلق الجنين في بطن أمه، ويستطيع أن يفعل ويفعل وهو حي وهو ميت، كله يفعله الولي.

إذًا كفار قريش فهموا الربوبية فهمًا صحيحًا، وطبقوه، وفهموا الألوهية فهمًا صحيحًا، ولم يُطبقوه، أبوا أن يُطبقوه، فلم يُدخلهم تطبيقهم الربوبية في كونهم من أهل الإسلام، هؤلاء اليوم ينتسبون إلى الإسلام فلا هم طبقوا الربوبية تطبيقًا صحيحًا كما فعلت قريش، ولا هُمْ طبقوا الألوهية تطبيقًا صحيحًا كما دعا إليها النبي ﷺ، فهُم أفسدوا في الجانين.

قال: (**ولكن أَنَا مُذْنِبٌ**)، يعني يقول كما قالت قريش، قالت: هذا الذي مثلهم قالوا: أنهم لا يعبدون هؤلاء إلا ليقربوهم إلى الله زُلفى، يعني أن لهم ذنوب وأدران وأوساخ من عمل الجاهلية، فلا يستطيعون سؤال الله مباشرة فيأتونه عن طريق هؤلاء الأولياء، وهذا المسكين الذي يظن نفسه مُسلمًا فعل نفس الفعل، يقول: أنا مُذنب، والصالحون لهم جاهٌ عند الله، وأطلب من الله بهم، طيب إن كان الصالحون لهم جاه عند الله والله عز وجل لا يرد من سأله، لِما لم يُشعرنا بذلك في القرآن؟ لماذا لم يأت به القرآن؟ يقولون: جاء به، كيف جاء به؟ هذا يرجع إلى المُتشابه في كلام أمس، يقولون: أن الله عز وجل قال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء:٦٤].

الخطاب مُدهن لأهل تلك الحقبة التي كان النبي ﷺ فيها حيًا كان موجودًا، فقال لهم الله عز وجل يقول الله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ﴾ أي معترفين بذنبهم قال: ﴿فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ﴾ هم استغفروا لأنفسهم، ﴿وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾ يعني الرسول وهو حي طلب من الله أن يغفر لهم، ﴿لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء:٦٤]. ما قال الله عز وجل: لوجدوا الله يقبل فقط توابًا رحيمًا توَّابًا لهم يعني يقبل توبتهم، لأنهم جاؤوا تائبين، تاب عليهم بمغفرته ظلمهم ورحمهم بقبول التوبة، هم تابوا

وقبل التوبة، إذًا هؤلاء الذين ينتسبون إلى الإسلام اليوم، وهم يذهبون إلى قبور الأولياء، ويسألون، وينذرون، ويذبحون، هؤلاء ما فهموا حقيقة الإسلام، ما فهموا ما هو الإسلام.

قال: (فَجَاوِبْهُ بِما تَقَدَّمَ) يعني من كلام الذي الآن تقدم، وأيضًا ما تقدم يوم أمس في المُجمل.

قال: (وَهُوَ: أَنَّ الَّذِينَ قَاتَلَهُم رَسُولُ اللهِ ﷺ مُقِرُّونَ بِمَا ذَكَرْتَ لِي) أي بالربوبية، أعمال الرَّب، وهي أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله، ومقرون الذين قاتلهم الرسول ﷺ قريش يقولون كان معنا مقرون.

(وَمُقِرُّونَ أَنَّ أَوْثَانَهُم) اللات وهُبل وعُزى، (لَا تُدَبِّرُ شَيْئًا، وَإِنَّمَا أَرَادُوا) هم أولئك المشركون أرادوا منها أي من الأوثان والأصنام، أرادوا منها الجاه عند الله، جاه يعني الوجاهة لأنهم هم عندهم وجاهة عند الله الجاه والشفاعة، هكذا كما يقول هؤلاء أن الصالحون لهم جاه عند الله، أولئك هكذا قالوا، قالوا: هذه الأوثان والأصنام هي لأُناس صالحين ولهم جاه عند الله.

قال: (وَٱقْرَأْ عَلَيْهِ مَا ذَكَرَ اللهُ فِي كِتَابِهِ وَوَضَّحَهُ) يعني في الآيات البينة الواضحة، وما أكثرها في القرآن.

قال: (فَإِنْ قَالَ: إِنَّ هَؤُلَاءِ الآيَاتِ نَزَلَتْ فِيمَنْ يَعْبُدُ الأَصْنَامَ) هكذا هم يقولون، يقولون: تجعلوننا ونحن نُصلي خمس صلوات، ونتَّجه إلى القبلة، نؤذن ونشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ونصوم رمضان، ونأتي البيت ونحج، ونخرج الزكاة تجعلوننا مثل الذين يعبدون الأصنام، ما الفرق بينكم؟ أنت جئت بالشهادة ونقضتها بالعمل، بل بالاعتقاد، اعتقدت أن هؤلاء الأولياء يعملون الأعمال التي لا يقوم بها إلا الرَّب، تقول: بأنهم هم يعملون هذه الأعمال، إذًا مثلهم.

قال: (فَجَاوِبْهُ بِمَا تَقَدَّمَ؛ فَإِنَّهُ إِذَا أَقَرَّ أَنَّ الكُفَّارَ يَشْهَدُونَ بِالرُّبُوبِيَّةِ كُلِّهَا للهِ) يعني أنت قرِّر قُل له: ما رأيك في هذه الآية في قول الله عز وجل عن قريش أنهم قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾ [الزمر:٣] ، هل تعتبر بهذا؟ إذا قال: نعم، قُل: ما الفرق بين صنيع قُريش وصنيعكم، لا فرق، فإنه إذا أقرَّ أن الكفار يشهدون بالربوبية كلها لله، وأنهم ما أرادوا ممن قصدوهم بالعبادة كاللات والعزى وهُبل وغيرها

ما أرادوا إلا الشفاعة، يعني يُريدون منهم أن يشفعوا لهم عند الله، لذلك قالوا: ﴿هَـؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ﴾ قال: (**ولكنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ فِعْلِهِمْ**) أي كفار قريش (**وَفِعْلِهِ**) والحقيقة أنه لا فرق أبدًا، ولو كان هناك فرق، فالأسوأ هو فعله هو الأسوأ من فعل قريش.

قال: ترد عليه (**بِمَا ذَكَرَ، فَاذْكُرْ لَهُ أَنَّ الكُفَّارَ مِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو الأَصْنَامَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو الأَوْلِيَاءَ الَّذِينَ قَالَ فيهم**).

قَالَ المُصنِف رَحِمَهُ اللهُ:

فَإِنْ قَالَ: إِنَّ هَؤُلَاءِ الآيَاتِ نَزَلَتْ فِيمَنْ يَعْبُدُ الأَصْنَامَ، وَنَحْنُ لَا نَعْبُدُ الأَصْنَامَ، كَيْفَ تَجْعَلُونَ الصَّالِحِينَ مِثْلَ الأَصْنَامِ؟، أَمْ كَيْفَ تَجْعَلُونَ الأَنْبِيَاءَ أَصْنَامًا؟

فَجَاوِبْهُ بِمَا تَقَدَّمَ؛ فَإِنَّهُ إِذَا أَقَرَّ أَنَّ الكُفَّارَ يَشْهَدُونَ بِالرُّبُوبِيَّةِ كُلِّهَا للهِ، وَأَنَّهُمْ مَا أَرَادُوا مِمَّا قَصَدُوا إِلَّا الشَّفَاعَةَ، ولكنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ فِعْلِهِمْ وَفِعْلِهِ بِمَا ذَكَرَ، فَاذْكُرْ لَهُ أَنَّ الكُفَّارَ مِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو الأَصْنَامَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو الأَوْلِيَاءَ الَّذِينَ قَالَ اللهُ فِيهِمْ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء]، وَيَدْعُونَ عِيسَى بن مَرْيَمَ وَأُمَّهُ، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ۞ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَاللهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [المائدة:٧٥]، وَاذْكُرْ لَهُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ۞ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ [سبأ]، فَقُلْ لَهُ: عَرَفْتَ أَنَّ اللهَ كَفَّرَ مَنْ قَصَدَ الأَصْنَامَ، وَكَفَّرَ أَيْضًا مَنْ قَصَدَ الصَّالِحِينَ، وَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ.

قال الشارح وفقه الله:

قال: فإذا أراد أن يُفرق بين فعلهم وفعله، قال: (فَاذْكُرْ لَهُ أَنَّ الكُفَّارَ مِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو الأَصْنَامَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو الأَوْلِيَاءَ)، الأصنام: هي ما له جُرم عُبد من دون الله له جسم كالأصنام التي تُعمل من حجارة أو من الخشب.

والوَثَن: عام ما له جرم وما ليس له جُرم، كُلما عُبد من دون الله يُسمى وثَن ويُسمى طاغوت، لكن الطاغوتية تحصل إذا كان دعا إلى عبادة نفسه أو رضي، ولكنْ يصح أن يُقال: وثَنْ كما قال النبي ﷺ: «اللهم لا تجعلْ قبري وثنًا يُعبد».

قال: (فَاذْكُرْ لَهُ أَنَّ الكُفَّارَ مِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو الأَصْنَامَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو الأَوْلِيَاءَ الَّذِينَ قَالَ اللهُ فِيهِمْ) هم أولياء حقًّا، لأن الله عز وجل في سورة الإسراء ذكرهم قال: (﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء])، إذًا أولئك الأولياء كانوا يرجون رحمة الله، ويخافون عذاب الله، ثم قال: (﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء]).

فأولئك الأولياء الذين عبدوهم من دون الله دعوهم وزعموا أنهم يُقربهم إلى الله وأنهم شفعاؤهم، هم أنفسهم كانوا يخشون الله ويخافونه ويرجونه، فكيف تطلبهم أنت؟

ثم قال: (وَيَدْعُونَ عِيسَى بن مَرْيَمَ وَأُمَّهُ، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾) يعني هو من جنس الرسل بشر، الرُّسل كلهم بشر، لا يوجد رسول من غير البشر، كلهم بشر إلا جبريل هذا رسول بين رب العالمين، وبين رُسل الله.

أما إلى الخلق من إنس وجنٍ فلم يكن رُسل إلا من ذرية آدم.

قال: (﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾) لأنه رسول أُرسل برسالة ومهمة.

قال: (﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾) لأن النبوة والرسالة لا تكون في النساء، وإنما تكون في الرجال من بني آدم.

وقوله: (﴿صِدِّيقَةٌ﴾) بمعنى مؤمنة، يُطلق لفظ (الصِّديق) على المؤمن زاكي الإيمان الذي إيمانه عظيم يُسمى صديق، ولذلك أبو بكر سُمي صديقًا؛ لأنه أعظم الأمة إيمانًا بعد رسول الله ﷺ، ولهذا جاء في الآية قال جل وعلا: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ﴾ جاء بهم بالمرتبة الثانية ﴿وَالشُّهَدَاءِ﴾ بعدهم ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾ عامةَ أهل التوحيد، فإن كل موحدٍ صالح.

قال: (﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾) إذًا هما بشر، احتاجا إلى أكل الطعام كيف تسألهم، كيف تسأل من احتاج إلى الطعام يجوع، فيحتاج إلى الطعام، ثم بعد أن طَعِم يحتاج إلى الخلاء، يتعرق ويحتاج إلى

الخلاء حتى يتخلص من ذلك الطعام الذي دخل جوفَهُ من بقاياه.

قال: (﴿انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾). ثم قال: (﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَاللهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [المائدة:٧٥])، إذًا الله عز وجل بين هذا بيانًا شافيًا. كان قبلها قد قال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ﴾ [المائدة:١٧] ، سواءً قالوا بألسنتهم، أو قالوا بأعمالهم بأن صرفوا له العبادة، فهؤلاء رد الله عليهم، لأنهم عبدوا المسيح فالله رد عليهم، قال: (﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ﴾) يعني غاية ما كانوا عليه مثل أي بشر يجوعون فيأكلون، فتمتلئ أجوافهم فيحتاجون إلى الخلاء، ويتعبون فينامون.. وهكذا.

قال: (وَاذْكُرْ لَهُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾)، لأن طائفة من العرب كانت تعبد الملائكة، وطائفة أخرى كانت تنسب الملائكة -يعني هؤلاء الذين يعبدونهم يقولون: أن الملائكة بنات الله، كما قال الله عز وجل عن ذلك في كتابه: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف:١٩]، فهم جعلوهم إناث، قالوا: الملائكة إناث، وقالوا: أنهم بنات الله، زعموا أن الملائكة بنات الله، ولذلك عبدوهم، فالله عز وجل يوم القيامة يأتي بالملائكة من تمام عدله يأتي بهم يقول لهم: أنتم قُلتم لهؤلاء: يعبدونكم، قالوا: سبحانك! تنزهت تقدست عن مثل هذا العمل، فيه انتقاص لله عز وجل قالوا: (﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ﴾) أنت من نواليه ونخضع له، ونذل له من دونهم (﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ [سبأ]).

هذه كلها أدلة ترد بها على هؤلاء الذين يقولون: نحنُ مسلمون نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ونُصلي ونفعل، ولكننا نسأل هؤلاء الصالحين لنقصٍ عندنا ولمكانتهم عند الله، قُل له: هذا هو نفس الذي فعلت قريش، ما الفرق؟ لماذا قاتلهم رسول الله وأنتم تكون أحبة رسول الله، كيف هذا؟ هذا لا يُمكن.

ثم قال: (﴿وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ قَالَ سُبْحَانَكَ﴾) كما قالت الملائكة، وكل أحد يُعبد من دون الله يقول: سبحانك، ما يقبل هذا حتى الشيطان لما عبدوه يوم القيامة في النار يتبرأ منهم، كما قال عز وجل في سورة إبراهيم: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ﴾ يعني أشركتموني مع الله، جعلتم لي شريكًا حتى إبليس والشيطان يتبرأ منهم يوم القيامة. ثم يقول لهم: ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم:٢٢].

إذًا هؤلاء جعلوا هؤلاء الأولياء أربابًا من دون الله، جعلوهم أربابًا من دون الله.

ثم قال: (**فَقُلْ لَهُ: عَرَفْتَ أَنَّ اللهَ كَفَّرَ مَنْ قَصَدَ الأَصْنَامَ، وَكَفَّرَ أَيْضًا مَنْ قَصَدَ الصَّالِحِينَ**) ما كان الناس يعبدون فقط أصنام، النبي قاتل قريش وكانوا يعبدون صالحين، وكانوا يعبدون أصنامًا ليستْ لهم شأن في العبادة والصلاح، وقاتل النصارى الذين عبدوا المسيح، وقاتل اليهود الذين عبدوا عُزير، وقاتل الفُرس الذين عبدوا النار، وهكذا قاتلهم جميعًا ما ترك أحدًا يعبد غير الله إلا قاتلهم.

ثم قال: (**وَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ**)، لا يستطيع يُنكر قُل لهم: من الذين قاتلهم الرسول ﷺ مَن هم، إما عبدة عيسى أحد أولوا العزم من الرسل، وهو المعجزة التي جعلها الله عز وجل لأهل ذلك الزمن، أو أنهم قومٌ عبدوا أصنام اخترعوها من عند أنفسهم يعني أسماء ما أنزل الله بها من سلطان، إذًا قاتلهم جميعًا، قاتل الذين عبدوا الملائكة، قاتل الذين عبدوا الأنبياء، قاتل الذين عبدوا الأشجار والأحجار، كلهم قاتلهم.

أنتم ما الذي يستثنيكم من هذا؟ لا شيء.

ثم قال: (**فَإِنْ قَالَ: الكُفَّارُ يُرِيدُونَ مِنْهُمُ**) يقصد أن الكفار لما كانوا يذهبون إلى اللات والعزى يُريدون منهم أن يفعلوا لهم، وأنتم ماذا تفعلون؟ أنتم الواحد منكم يذهب إلى قبر الولي يقول: يا ولي الله، تزوجت عشر سنين ولم يولد لي، فأُريد الولد، إذًا تريدون ممن؟ لو كنتم تريدون من الله لسألت الله،

أنت تسأل الولي، أنت عرفته من الولي، لذلك قال: (وَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّ اللهَ هُوَ النَّافِعُ الضَّارُّ المُدَبِّرُ) نعم أنت تشهد بلسانك وتنقض بعملك، بل وتنقض باعتقادك، وإلا لماذا ذهبت إلى هؤلاء الأولياء أو غير الأولياء؟ يقول: لا أُريد إلا منهم يعني من الله، يقول: أنا ما أُريد من هؤلاء، هذا كذب، يُكذبه صنيعك وفعلك، أنت إذا ذهبت إلى هذه القبور نجدك تسألهم حاجتك، مدد ياسين شفعك، أُريد الولد، أُريد الشفاء، مثل هذه الأمور، أنت تُريد منهم، يقول: لا، أنا أُريد هم يسألوا الله لي، كيف يسألوا الله لك وهم أموات؟ قال: (وَالصَّالِحُون لَيْسَ لَهُمْ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ، وَلٰكن أَقْصدُهُم أَرْجُو مِنَ اللهِ شَفَاعَتَهُمْ)، إذا كنت ترجو من الله شفاعتهم، يعني سبحان الله الأدلة على رد شُبههم كثيرة، هذا الولي أليس ميت وأنت حي، فكيف الحي يطلب الشفاعة من الميت؟! الله عز وجل لماذا جعل صلاة الجنازة؟ حتى يشفع الأحياء في صلاتهم الجنازة يشفعون لهذا الميت، ولهذا النبي ﷺ قال: «ما من مسلم يموت فيُصلي عليه أربعون كلهم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله إلا شفَّعهم الله فيه»، صلاتهم هي شفاعة، كيف ميِّت تجعله هو يشفع لك سبحان الله، هذا شيء عجيب.

قال: (فَالجَوابُ: أَنَّ هٰذَا قَوْلُ الكُفَّارِ، سَوَاءٌ بِسَواءٍ) يعني هذا الذي يقول مُدعي الإسلام هو نفس كلام الكفار ما نعبدهم لذواتهم، ولكن نعبدهم لمكانتهم وجاههم عند الله، فنرجو أن الله يقبل شفاعتهم فينا، كيف يقبل شفاعتهم وهم أموات؟ أين الشفاعة، الشفاعة عبادة، كيف تأتي عبادة من ميت، والله عز وجل قد بين أن الشفاعة لله قال: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر:٤٤].

قال: (فاقرأ عَلَيْهِ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾ [الزُّمر:٣]) يعني يشفعون لنا يُقربونا إلى الله زُلفى بشفاعتهم بجاههم يُقربوننا من الله.

قال: (وَقَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿ ويقولون هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ ﴾ [يونس:١٨]).

لعلنا نقف هنا.

ونستكمل إن شاء الله يوم غدٍ الجمعة.

والله أعلم.